المسلمون الصينيون اخوة للمسلمين العرب

ـ زيارة للاستاذ باى شو يى الذى حضر ندوة الفكر الاسلامى بالجزائر

بقلم : مراسل شينخوا مى تشن مين

اوصى النبى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعه والمؤمنين بهذه الوصية : " اطلبوا العلم ولو بالصين " . وحسب حديثه الخاص بطلب العلم ، قد اوفد الخليفة الثالث عثمان بن عفان اول سفير الى تشانغآن (مدينة شيآن بمقاطعة شنشى حاليا) العاصمة الصينية فى ذلك الوقت لمقابلة صاحب الجلالة امبراطور اسرة تانغ الملكية يوم ٢ محرم سنة ٣١ هجرية (اى ٦٥١م) .. ومن ثم فصاعدا ، جاء عدد كبير من المسلمين العرب الى الصين لطلب العلم وكذلك ذهب كثير من المسلمين الصينيين الى البلدان العربية لتعلم المعارف .

وفى سبتمبر (ايلول) من هذه السنة ، حضر الاستاذ جمال الدين باى شو يى العالم الاسلامى الصينى المشهور البالغ عمره ٧٠ سنة الملتقى الـ ١٣ للفكر الاسلامى الذى عقد فى مدينة تمانراست فى الجزائر . حيث تبادل الآراء وتحدث باسهاب حول الصداقة مع علماء اكثر من ٣٠ دولة آسيوية وافريقية واوروبية .

وقد زار المراسل الاستاذ باى عشية عودته الى الوطن فى فندق شاطئ البحر الواقع فى ضاحية مدينة الجزائر . فأطلع المراسل على اعمال الندوة واخبره ان اكثر من ٥٠ اطروحة اكاديمية قد قدمت فى الندوة اضافة الى الخطابات التى القيت والمناقشات التى جرت . وتعرف منها على وجهات نظر العلماء المسلمين المعاصرين . كما ابلغ المراسل : رأى بعض الحاضرين ان الدين الاسلامى يجب ان يعود الى ما كان عليه فى القرن السابع عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ورأى البعض الآخر ان الدين الاسلامى ينبغى ان يرتبط بالمجتمع الواقعى وان يستوعب الاشياء المفيدة من الواقعية وينبذ الاشياء الفاسدة فى المجتمع الرأسمالى ويدفع تطور الفكر الاسلامى . اما الآخرون فرأوا ان الدين الاسلامى ظل يتسم باتجاه النهضة خلال عقود السنوات الاخيرة . ان هذه الخطابات الداعية الى نهضة الدين الاسلامى تركت اثرا عميقا فى ذهن الاستاذ باى . فرأى ان هذه المسألة ليست مسألة دينيـــة عاديـة بل هى تحمل موضوعات تاريخية وسياسية واقعية معينـــة تعكس الرغبة القوية الهادفة الى التخلص من السيطرة الاجنبية وتحقيق نهضة وطنية تكنها البلدان المسلمة الافروآسيوية التى عانت من حكم الاستعمار الامبريالى لمدة طويلة .

وقد قدم الاستاذ باى فى الندوة تقريرا اكاديميا بعنوان « مساهمات المسلمين الصينيين فى التاريخ » . وقدم الاستاذ باى المضمون الرئيسى لهذا التقرير الى المراسل حسب طلبه . واوضح التقرير كيف انتشر الدين الاسلامى فى الصين وما قدمه المسلمون الصينيون من مساهمات لتطور المجتمع الصينى فى ميادين السياسة والاقتصاد والعلوم والثقافة منذ اكثر من ١٣ قرنا . فقد درس الكثيرون من المسلمين الصينيين علوم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والتقويم العربية . واضافوا بذلك موضوعات جديدة فى تطور الثقافة الصينية . وقد سجل الكتاب الصيدلى الصينى المشهور فى العصور القديمة على سبيل المثال « تشنغ لى بن تساو » (الوثائق الهامة فى دراسة اصناف العقاقير

الأستاذ جمال الدين باى شو يى يلقى خطابا اكاديميا فى الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامى بالجزائر .

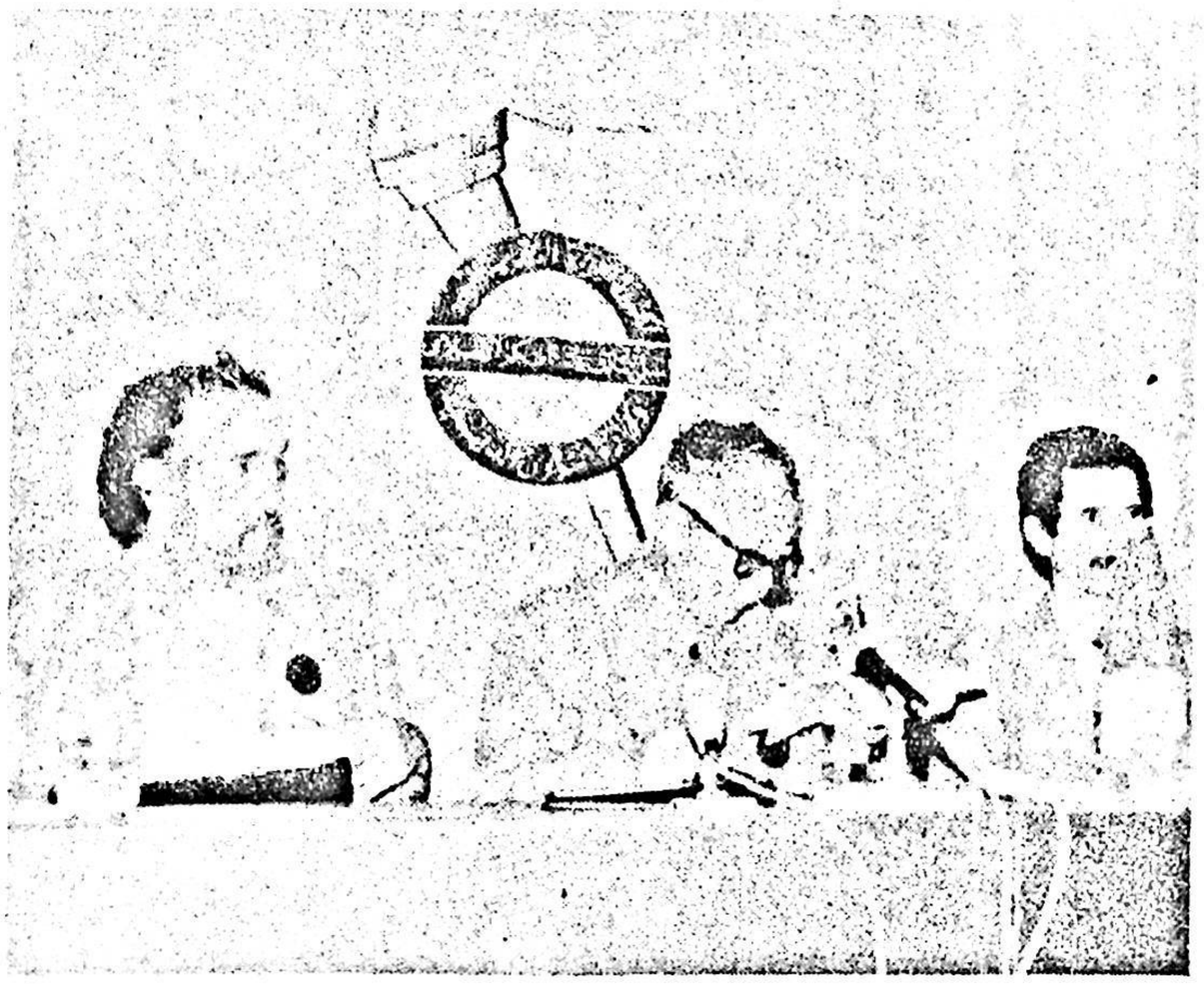

الصينية قبل اسرة سونغ الملكية) و« بن تساو قانغ مو» (الموسوعة الطبية الصينية) عددا كبيرا من المعارف الخاصة بعقاقير العرب ووصفاتهم الطبية . وكان التقويم الهجرى مرجعا لوضع التقويم الصينى على مدار اربعمائة سنة ابتداء من اواسط القرن الثالث عشر . وفى القرن الخامس عشر ، قاد الملاح الشهير الصينى تشنغ خه قوافل السفن الضخمة المكونة من ٦٠ سفينة و٢٧٫٠٠٠ بحار سبع مرات ، وزار ٣٥ دولة افروآسيوية ، الامر الذى اسهم اسهاما بارزا فى دفع الاتصالات الودية الشعبية بين الصين وبين الكثير من الدول المسلمة الافروآسيوية . والجدير بالذكر ان تشنغ خه يدين بالاسلام . وقد سافر جده وابوه الى الديار المقدسة الاسلامية حاجين الى مكة . وقد وصل تشنغ خه ايضا اثناء رحلته السابعة الى مكة لاداء فريضة الحج . والى جانب ذلك ، فالاشخاص المشاهير فى تاريخ الصين مثلا : هاى روى (١٥١٤ – ١٥٨٧) الحاكم النزيه الفذ فى اسرة مينغ الملكية والذى يتمتع بشعبية كبيرة حتى اليوم ، ولى تشى (١٥٢٧ – ١٦٠٢) المؤلف الكثير الاعمال والمفكر والمؤرخ وناقد الآداب ، وقاو كه قونغ (؟ – ١٣١٠) رسام المناظر فى اسرة مينغ الملكية الخ ، جميعهم مسلمون . اما متحف القصر الامبراطورى القديم فى بكين الذى يمتد صيته فى داخل البلاد وخارجها فهو نتيجة تطوير اساس قصور العاصمة الكبرى فى اسرة يوان الملكية والتى صممها اختيار الدين المهندس المسلم فى سنة ١٢٦٦م .

واخبر مساعد الاستاذ باى المراسل ان اطروحة الاستاذ الاكاديمية قد اثارت اهتماما بالغا لدى جميع الحاضرين . فقال احمد حمانى رئيس اللجنة الاسلامية العليا فى الجزائر الذى اشرف على هذه الندوة : ان هذه الاطروحة اغنت موضوعات الندوة كثيرا . واثنى كثير من الطلبة الجزائريين الذين حضروا كمستمعين فى الندوة على هذه الاطروحة ثناء عاطرا كتابيا . كما رجوا من الاستاذ ان يعرفهم بالاحوال الراهنة للمسلمين الصينيين .

وردا على سؤال وجهه اليه المراسل قال الاستاذ باى : ان فى الصين اكثر من ١٠ ملايين من المسلمين يعد التحرير ويتمتعون بحق المساواة بين القوميات وحرية الاعتقاد الدينى . وفى المناطق التى يكثر فيها المسلمون فى الصين انشئت منطقتان و٤ ولايات و١٢ محافظة ذات حكم ذاتى . وفى المجلس الوطنى لنواب الشعب والمؤتمر الاستشارى السياسى الوطنى والسلطات من مختلف المستويات مندوبون ومسؤولون مسلمون ، وتقلد المسلمون النفيرون مناصب مرموقة بالدولة مثلهم مثل ابناء الشعب من مختلف القومية فى الصين .

وفى الاماكن الاهلة بالمسلمين بنيت مساجد يباشر فيها المسلمون نشاطاتهم وشعائرهم الدينية برعاية الائمة . لكن فى الفترة التى كانت تمعن فيها " عصابة الاربعة " فى البغى والطغيان تأثرت حرية الاعتقاد الدينى واغلقت مساجد عديدة وشوشت نشاطات دينية عادية . اما بعد سحق هذه " العصابة " فان السياسة الدينية القائمة على حرية العقيدة عادت لتسود من جديد . وقد جرى او يجرى ترميم المساجد التى اصابها الاهمال او الخراب حينذاك . ومن اجل ضمان حرية الاعتقاد الدينى ، وعلى وجه الخصوص فان قانون العقوبات الذى اجازه المجلس الوطنى الخامس لنواب الشعب المنعقد فى مايو الماضى ينص على : " لو حرم عاملو الدولة حرية الاعتقاد الدينى الطبيعية للمواطنين او انتهكوا العادات التقليدية للاقليات القومية بصورة غير شرعية وكانت مسؤوليتهم خطيرة فيجب الحكم عليهم بالاعتقال او بالسجن لمدة اقل من سنتين . "

وقد القى استاذ سورى ، كان يزور الصين ، خطبة تلقى الضوء على الحقائق التى رآها فى الصين ، اذ قال ، انه قد رأى فى مدينة قوانغتشو مسجد الحنين الى النبى (مسجد المنارة) – اقدم المساجد فى الصين ، وضريح الشيخ وقاص وكان مبشرا بالدين الاسلامى فى الصين فى وقت مبكر – فى حالة جيدة . وفى كل يوم جمعة ، يخطب ويعظ الائمة فى المساجد العديدة باللغة العربية .

وخلال الندوة قام الاستاذ باى باتصالات واسعة مع العلماء ورجال الدين والمسؤولين والطلبة والمحاربين القدماء فى الجزائر . ان المشاعر الودية التى يكنها الاصدقاء الجزائريون تجاه المسلمين الصينيين قد تركت ذكرى لا تنسى . وفى اول يوم لافتتاح الندوة ، دعا بوعلام باقى وزير الشؤون الدينية الجزائرية بصورة خاصة العلماء المسلمين الصينيين الذين حضروا ندوة الفكر الاسلامى لاول مرة لتناول الطعام معا . وقد طلب السكان المحليون الاستاذ باى والحاضرين الآخرين ليحلوا ضيوفا عليهم ، كما قدموا لهم أكلة " الكسكس " ذات الطابع القومى . وعندما زار الحاضرون الاماكن السياحية والآثار القديمة بقرب مدينة تمانراست رحب بهم السكان المحليون وهم يركبون الجمال ويرقصون الرقصات القومية . واينما ذهبوا لقوا الترحيب من الاصدقاء الجزائريين الذين كانوا يقولون لهم بحماس : " ان الشعب الصينى صديق للشعب الجزائرى وان المسلمين الصينيين اخوة للمسلمين العرب . "

٢٧ ديسمبر ١٩٧٩